أعلى النعيم

عبد الله بن إسماعيل

الشوق إلى الله ورؤية وجهه الكريم

جمع وترتيب

الدكتور

السيد بن حسين العفاني

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

الناشر بالمملكة العربية السعودية

دار ماجد عسيري ـــ جدة

٠٠٩٦٦٥٤٣٤٦١٥١

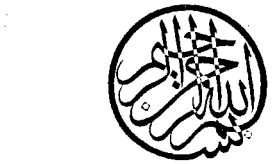

ومن عجبٍ أني أحِنُّ إليهمُ وأسأل شوقًا عنهمُ وهمُ معي
وتبكيهمُ عيني وهم في سوادها ويشكو النَّوى قلبي وهم بين أضلعي

إلى ...

الحبيب الغالي .. من أحبّه في الله كل الحب...
ذي الأخلاق العالية النبيلة الكريمة التي هي أطيب من
المسك وأرقّ من نسيم الفجر

الشيخ أحمد محمد أحمد

إلى ...

الحبيب الكبير .. أجمل من رتل القرآن في مسجد العزيز في
تراويح رمضان فأبكى العيون والقلوب...
إلى رجل من أهل الله وخاصته ـ أهل القرآن ـ نحسبه كذلك.

الشيخ طارق إبراهيم

الذي أحبه ملء شغاف القلب

المؤلف

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

كل الحقوق محفوظة

رقم الإيداع
١٨٤٩٤ / ٢٠٠٥

الناشر
بالمملكة العربية السعودية
دار ماجد عسيري ـ جدة
٠٠٩٦٦٥٤٣٤٦١٥١

مقدمة

أعلى النعيم

الشوق إلى الله ورؤية وجهه الكريم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

[النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمّا بعد: ـ

إن في القلب شعثًا لا يَلُمّه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته.

وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته. وفيه قلقٌ لا يسكنه إلَّا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه نيرانُ حسراتٍ لا يطفئها إلا الرضا بأمره

ونهيه، وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه. وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه. وفيه فاقةٌ لا يسدها إلا محبته والشوق إليه ودوام ذكره والإخلاص له، ولو أُعْطِي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبدًا. وفيه مرض لا يشفيه إلا لقاء مولاه في يوم المزيد.

ومن لم يقر بذلك، وخلى قلبه من محبة اللَّه والشوق إليه فليبك على موت قلبه.

وكلما صَحَّ القلب من مرضه ترحَّل عن الدنيا حتى ينزل بالآخرة، ويحُلُّ فيها، حتى يبقى كأنه من أهلها وأبنائها، جاء إلى هذه الدار غريبًا يأخذ منها حاجته، ويعود إلى وطنه.

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا مَنَازِلُكَ الأُولَى وفِيهَا المُخَيَّمُ
وَلَكِنَّنَا سَبْيُ العَدوّ فهلْ تَرَى نَعُودُ إلى أَوْطَانِنَا وَنَسْلَمُ؟

ولا يزال هذا القلب يضرب على صاحبه حتى يتعلَّقَ باللَّه وينيب ويخبت إليه، تعلُّق المحب المضطر إلى محبوبه الذي لا حياة له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا برضاه وقربه والأنس به فذكره قوته وغذاؤه، ومحبته، والشوق إليه حياته ونعيمه ولذته وسروره، والالتفات إلى غيره والتعلق بسواه داؤه، والرجوع إليه دواؤه، فهو دائمًا يضرب على صاحبه حتى يسكن ويطمئن إلى إلهه ومعبوده، فحينئذ يباشر روح الحياة، ويذوق طعمها، ويصير له حياة أخرى غير حياة الغافلين المعرضين عن هذا الأمر الذي له خُلِق الخلق، ولأجله خُلِقت الجنة والنار، وله أرُسلت الرسل ونزلت الكتب، ولو لم يكن جزاء إلا نفس وجوده لكفى به جزاءً، وكفى بفوته حسرة وعقوبة.

قال بعض العارفين: «مساكين أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها؛ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة اللَّه والأنس به والشوق إلى لقائه، والتنعم بذكره وطاعته».

وقال آخر: «إنه ليمرُّ بي أوقاتٌ أقول فيها إنْ كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيشٍ طيِّبٍ».

وقال آخر: «واللَّه ما طابت الدنيا! إلا بمحبته والشوق إليه وطاعته، ولا الجنة إلا برؤيته ومشاهدته.

وقال أبو الحسين الورَّاق: «حياة القلب في ذكر الحي الذي لا يموت، والعيش الهني: الحياة مع اللَّه ـ تعالى ـ لا غير».

وبالجملة فما أطيب حياة هذا القلب الذي همُّهُ كله في الله، وحبُّه كله له، وشوقه إليه، وقصده له، وبدنه له، وأعمَاله له، ونومه له، ويقظته له، وحديثه والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم على محابِّه ومراضيه.

فلله هاتيك القلوب وما انطوت عليه من الضمائر، وماذا أودعته من الكنوز والذخائر، ولله طيب أسرارها يوم تُبلى السرائر.

سَيَبْدُو لها طِيْبٌ ونورٌ وَبَهْجَةٌ وَحُسْنُ ثَنَاءٍ يَومَ تُبْلَى السَّرائِرُ

تاللَّه، لقد رُفِع لها عَلم عظيم فشمَّرت إليه، واستبان لها صراط مستقيم فاستقامت عليه، ودعاها ما دون مطلوبها الأعلى فلم تستجب إليه، واختارت اللَّه على ما سواه وآثرت ما لديه.

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«إن اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ خلق الخلق لعبادته، الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ومحبته، والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم، وتسكنه نفوسهم، وبرؤيته في الآخرة تقرُّ عيونهم، ويتم نعيمهم، فلا يعطيهم في الآخرة شيئًا أحبَّ إليهم ولا أقرَّ لعيونهم، ولا أنعم لقلوبهم من النظر إليه، وسماع كلامه منه بلا واسطة، ولم يعطهم في الدنيا شيئًا خيرًا لهم ولا أحب إليهم ولا أقرّ لعيونهم من الإيمان به، ومحبته والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه، والتنعُّم بذكره.

وقد جمع النبيﷺ بين هذين الأمريْن في الدعاء الذي رواه النسائي والإمام

أحمد، وابن حبان في صحيحه وغيرهم من حديث عمّار بن ياسر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو به: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيرًا لي، وتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي. اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ والشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الغَضَبِ والرِّضَا**[(١)]**، وَأَسْأَلُكَ القَصْدَ في الفَقْرِ وَالغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ**[(٢)]**، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَأَسْأَلُكَ الشَّوقَ إلى لقَائِكَ، في غَيْرَ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ. اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ**[(٣)].

فجمع في هذا الدعاء العظيم القدر بين أطيب شيء في الدنيا، وهو الشوق إلى لقائه سبحانه، وأطيب شيء في الآخرة، وهو النظر إلى وجهه ـ سبحانه ـ. ولما كان كمال ذلك وتمامه موقوفًا على عدم ما يضرّ في الدنيا ويفتن في الدين قال: «فِي غَيْرَ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ولَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ»[(٤)].

● هذا الكتاب:

وجمعي هذا يتناول الحديث عن هذين النعيمين: الشوق إلى الله وهذا أعلى نعيم الدنيا ورؤية وجه الله الكريم وهذا أعلى نعيم الجنان قال ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه، وأتينا بالأدلة من القرآن والسنة، وإجماع أهل السنة على ذلك، وعرضنا مذاهب الفرق الضالة المنحرفة في هذا الباب والردَّ عليهم، وذكرنا أشعار الشوق

---

(١) في صحيح الجامع: «وأسألك كلمة الإخلاص في الرضا والغضب».

(٢) في صحيح الجامع: «وأسألك الرضا بالقضاء»

(٣) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٤)، والنسائي (٣/ ٥٥)، وابن حبان في «المورد» (٥٠٩)، والحاكم (١/ ٥٢٤) من طريقين عن عمار بن ياسر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٣٠١).

(٤) «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» لابن قيم الجوزية ص (٤٠ ـ ٤١) ـ مؤسسة الرسالة.

وأضفنا إلى ذلك كلامه لأهل الجنة حتى يتم نعيمهم، وسردنا جملة من الأحاديث الضعيفة في هذا الباب.

اللهم إنا نسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنّان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام..

اللهم صل على عبدك ونبيك محمد ﷺ .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرّب إليها من قول أو عمل.. نسألك الفردوس الأعلى.. نسألك حبَّك وحبَّ من يحبك، وحبَّ عمل يقرِّبنا إلى حبك .. نسألك شهادة في سبيلك، ونسألك برد العيش بعد الموت، ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرّة ولا فتنة مُضِلّة..

اللهم زيّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

الفقير إلى رحمة ربه وسائله محبته
والنظر إلى وجهه والشوق إلى لقائه
السيد بن حسين العفاني
الخميس ١٩ ربيع الأول ١٤٢٦هـ
٢٨ أبريل ٢٠٠٥ م

الفصل الأول

نعيمٌ دائم

ونعيمٌ عارية

فاخْتَر لنفسك

نعيمٌ دائم، ونعيمٌ عَارِية

أنت القتيل بكُلّ ما أحببتهُ فاختر ما شئت

نعم... بونٌ شاسعٌ بين نعيميْن:

* نعيم عارية مرتحل.. ليس من داخلك.. وإنما هو مضاف إليك.. بائن عنك.. وهو نعيم الدنيا الزائلة من لباسٍ وأَثَاثٍ وقُصُورٍ ورياشٍ، ومنكحٍ ومأكلٍ.. وما أحطَّهُ من نعيم.

ونعيم مقيم معك .. ينبعث من داخلك.. وهو نعيم الشوق إلى الله، أو لذَّة النظر إليه في الآخرة..

أما نعيم الشوق ولهيبه الذي تتساقط الشموس أمامه، ويزري بالبحر في تلاطمه وهيجان إرادات القلب للمحبوب، وكل نَفَس من أنفاسه يجعل من الأرض سماء هو فيها كواكب، ويكون هزيم البرق شررًا لسنابك جواد المشتاق، ولا يفهم أحد من الأغيار سر آهاته، ولا يحيط أحدٌ بمدى معارجه ومدارجه وخطواته..

وأما النظر إلى وجه اللَّه الكريم فهو مثلما قال ابن عباس في نعيم أهل الجنة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]، «الأمر في هذا أجلُّ وأعظم من أن يُعرف تفسيره» لا تحيط نَفْس ملك مقرب ولا نبي مُرسل فضلًا عمن عداهم بنعيم القوم

فَهَذَا نَعِيمُ القَوْمِ إنْ كُنْتَ تَبْتَغِي وَتعقَّل عَنْ مَولَاكَ آدابَ ذَوِي القَدْرِ

وما ظنك بنعيم من قرَّت عينه باللَّه فقرّتْ به كل عين، وأنس به كل مستوحش، وطاب به كل خبيث، وفرح به كل حزين، وأمن به كل خائف، وشهد به كل غائب، وذكَّرت رؤيتُه باللَّه، واشتاق إلى اللَّه فاشتاقت إليه جميع الأشياء، عبدٌ ذاهب عن نفسه، متصلٌ بذكر ربه، قائمٌ بأداء حقوقه، ناظرٌ إليه

بقلبه، أحرقت قلبه أنوارُ هيبته، وصفا شِربُه من كأس وُدِّه إن تكلم فبالله، وإنْ نطق فعن الله، وإنْ تَحَرَّك فبأمر الله، وإن سكت فمع الله، فهو باللَّه ولله ومع الله.

● **نعيم جليل.. عظيم خطير ليس له نظير:**

هذا العبد في نعيمه المقيم نعيم الشوق إلى الله

أنَّى[١] يُلْحَقُ صَبٌّ[٢] قَلِقٌ مَشْغُوفُ[٣] القلبِ مُتَيَّمُهُ[٤]

هذا المحب المشتاق «لا يزال اللَّه يرقِّيه طبقًا بعد طبق، ومنزلًا بعد منزل، إلى أن يُوصِّله إليه ويُمَكِّن له بين يديه.. والسعيد كل السعيد، والمُوَفَّق كل الموفَّق: من لم يلتفت عن ربه تبارك وتعالى يمينًا ولا شمالا، ولا اتخذ سواه ربًّا ولا وكيلًا، ولا حبيبًا ولا مدبِّرًا ولا حكمًا ولا ناصرًا ولا رازقًا فإن استمر على حاله واقفًا بباب مولاه لا يلتفت عنه يمينًا ولا شمالًا، ولا يجيب غير من يدعوه إليه، رُجِيَ له أن يستغرق قلبه في أنوار مشاهدة الجلال بعد ظهور أنوار الوجود الحق، فيبقى قلبه سابحًا في بحر من أنوار آثار الجلال، فتنبع الأنوار من باطنه، حتى يجد الملكوت الأعلى كأنه في باطنه وقلبه، ويجد قلبه عاليًا على ذلك كله، صاعدًا إلى مَنْ ليس فوقه شيء، ثم يرقيه اللَّه ـ سبحانه ـ فيُشهِدُه أنوار الإكرام بعد ما شهد أنوار الجلال، فيستغرق في نور من أنوار أشعة الجمال، وفي هذا المشهد يذوق المحبة الخاصة المُلهبة للأرواح والقلوب، فيبقى القلب مأسورًا في يد حبيبه ووليه ممتَحنًا بحبه.

فيا له من قلب ممتحنٍ مغمورٍ، مستغرق بما ظهر له من أشعة أنوار الجمال الأَحَدِي، والناس مفتونون ممتحنون، بما يفنى من المال والصور والرياسة، مُعَذَّبون بذلك قبل حصوله، وحال حصوله، وبعد حصوله، وأعلاهم مرتبة من يكون مفتونًا بالحور العين، أو عامِلًا على تمتعه في الجنة بالأكل والشرب واللباس

(١) أَنَّى: كيف.

(٢) صَبٌّ: مشتاق. والصبابة: رقة الشوق.

(٣) مشغوف: شغفه الحب أي بلغ شغافة وهو غشاء القلب.

(٤) تيّمه: عبّده.

والنكاح، وهذا المحب قد ترقَّى في درجات المحبة على أهل المقامات، ينظرون إليه في الجنة كما ينظرون إلى الكوكب الدريِّ الغابر في الأفق لعلوّ درجته وقرب منزلته من حبيبه ومعيَّته معهُ فإن المرء مع من أحب ، ولكل عمل جزاء، وجزاء المحبة: المحبة والوصول والاصطناع والقرب، فهذا هو الذي يصلح، وكفى بذلك شوقًا وفخرًا في عاجل الدنيا، فما ظنك بمقاماتهم العالية عند مليكٍ مقتدر».

إن اللَّه ـ سبحانه ـ أبى أن يجعل ذخائره في قلب فيه سواه، إنما يُودع ذخائره في قلب يرى النعيم عذابًا دونه، والعذاب نعيمًا معه، فلا يرى الحياة إلا به ومعه، فهذا له جنتان: جنّة في الدنيا معجَّلة، وجنة يوم القيامة.

ولله ما أحلاه! عكوف القلب على اللَّه ﷻ وحده كعكوف البدن في المسجد لا يفارقه عنده بضائع نفيسة.. دموع ودماء، أنفاس وحركات، كلمات ونظرات، لا يبذلها فيما لا قدْر له..

لا يبكي لفقد ما لا يبقى، ولا يتنفَّس أسفًا على ما يفنى، ولا يبذل مهجة لصورة عمّا قليل تُمحى؟

وحبيب قلبه وشوقه كل شوقه لمن له نُعوت الجمال والجلال والكمال.

فطوباه، وطوباه، وطوباه.

● ونعيم عارية زائل.. من دنيا لا تُساوي عند اللَّه جناح بعوضة..

فما يساوي هذا النعيم؟

ما الدنيا ونعيمها إلا مأكول، أو مشروب، أو ملبوس، أو مشموم، أو منكوح، أما المأكول فأفضله العسل وهو صنع حشرة، وأما الملبوس فأفضله الحرير هو صنع دودة، وأما المشموم فأفضله المسك وهو دم حيوان، وأما المنكوح فهن النساء وهنَّ مبالٍ في مبال.. تتزين بأجملها يراد به أقبحها...

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

وعن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَو كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِندَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»(١).. وتعال معي إلى هذا النعيم العارية:-

● **نعيم المال والجاه والرئاسة: -**

أما الجاه والرئاسة فهو أشدّ تقلّبًا من القدر عند غليانها، فإن تغيّر كان صاحبه أذلَّ الخلق.. ولو رأى صاحب المال أن في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل لأفاق من سكرته، فأفٍّ لشرف يسبقك به قارون!! قال - تعالى -: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: ٧٦] فكفر وتاه وتجبّر بهذا النعيم فماذا كانت العاقبة؟ قال - تعالى -: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص: ٨١].

أين قارون؟ أما هلكت في الزمان جديسه وطَسْمُه؟!(٢) ولقد ذهب من كان وكان اسمه، فلا عينُه ترى ولا رسْمُه، ولا جوهره يُحسُّ ولا جسمه، تبدّد.. - واللَّه - بالممات نظمه، ولحق بالرفات عظمه!!

* وأفٍّ لشرفٍ يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلًا مُفلسًا!!

* أما ترى إلى فرعون وقوله: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ﴾ [الزخرف: ٥١]؟! ولسان الحقيقة يقول: يا هذا، حمارك ينهق من كفٍّ شعير، ما تساوي مصر من جناح البعوضة وقد مرَّ بك حديث رسول الله ﷺ في قدر الدنيا عند الله.

* والمال أخسُّ القُنيات، والمال خادم لغيره من القُنْيات، وإن كان كثيرٌ من الناس لجهلهم يجعلون جاههم وأبدانهم ونفوسهم خدمًا للمال وعبيدًا له، وهم

(١) رواه الترمذي، والضياء في «المختارة»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم ٩٤٣.

(٢) جديس وطسْم: اسما قبيلتيْن انقرضوا قديما.

الذين ذمّهم النبي ﷺ في قوله: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرهَمِ».

من ظن أن سعادته لا تتجاوز المال؛ فهو لئيم صغير النفس، يُؤْتَى المال فتسيطر نفسه به، حتى ما يُطيق نفسه!! يروح يشعر أن المال هو القيمة العُليا في الحياة، القيمة التي تهون أمامها جميع القيم وجميع الأقدار؛ أقدار الناس، وأقدار المعاني، وأقدار الحقائق!! وأنه وقد ملك المال فقد ملك كرامات الناس وأقدارهم بلا حساب!! كما يروح يحسب أن هذا المال إلهٌ قادر على كل شيء، لا يعجز عن فعل شيء، ومن ثَمَّ ينطلق في هَوَس بهذا المال يعدّه ويستلذُّ تعداده، وتنطلق في كيانه نفخة فاجرة تدفعه إلى الاستهانة بأقدار الناس وكراماتهم، فمَا أَهْبَطَهُ وَأَلأَمَهُ؟!

وقبيح بالذي يريد السعادة والنعيم أن يتهافت على المال، ويجعل نفسه أقلَّ رَفيق له وأخسَّهُ.

* في كل زمان ومكان تستهوي زينة المال والجاه بعض القلوب، وتُبهِرُ الذين يريدون الحياة الدنيا، ولا يتطلَّعُون إلى ما هو أعلى وأكرم منها، فلا يسألون بأي ثمن اشترى صاحب الزينة زينته؟

ولا بأي الوسائل نال ما نال مِن عَرض الحياة؟ من مالٍ أو منصب أو جاه، ومن ثَمَّ تتهافت نفوسهم وتتهاوى كما يتهافت الذباب على الحلوى ويتهاوى، ويسيلُ لعابهم طمعًا فيما في أيدي المحظوظين من متاع، غير ناظرين إلى الثمن الباهظ الذي أدّوه، ولا إلى الطريق الدَّنيس الذي خاضوه، ولا إلى الوسيلة الخسيسة التي اتخذوها!!

ولله درُّ شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال للسلطان: مُلْكُك ومُلْك مَلِك المغل، لا يساوي عندي فِلسًا.

* والواقع خير شاهد:

وهذه قصة «كرستينا أوناسيس مثال لشقاء أصحاب الأموال.. كرستينا الفتاة اليونانية ابنة المليونير المشهور «أوناسيس» ذلك الذي كان يملك المليارات، والجزر والأساطيل، لقد ورثت من أبيها ما يزيد على خمسة آلاف مليون دولار.

فتاة تملك أسطولًا بحريًّا ضخمًا، تملك جزرًا كاملةً، تملك شركات طيران، وخلاصة القول أن هذه الفتاة كانت قد تزوجت في حياة أبيها برجل أمريكيٍّ، وعاش معها شهورًا ثم طلّقها أو طلّقته.

وبعد وفاة أبيها تزوّجت برجل آخر يوناني، وعاش معها شهورًا، ثم طلَّقها أو طلّقته، ثم انتظرت طويلًا تبحث عن السعادة؟ أتعلمون من تزوَّجت؟

للمرة الثالثة (أغنى امرأة في العالم على الإطلاق) أتعلمون مَنَ تزوجت؟ لقد تزوَّجَت شُيوعيًّا رُوسِيًّا، يا للعجب، قمة الرأسمالية تلتقي مع قمة الشيوعية، وعندما سألها الناس والصحفيون ـ بشكل خاص ـ: أنت تمثلين الرأسمالية فكيف تتزوّجينَ بشيوعي؟ عندها قالت: أبحث عن السعادة.

وبعد الزواج ذهبت معه إلى روسيا، وبما أن النظام هناك لا يسمح بامتلاك أكثر من غرفتين، ولا يسمح بخادمة، فقد جلست تخدم في بيتها ـ بل في غرفتها ـ فجاءها الصحفيون ـ وهم يتابعونها في كل مكان ـ فسألوها كيف يكون هذا؟ قالت: أبحث عن السعادة. وعاشت معه سنة ثم طلَّقهَا، بل طلَّقَتْهُ. ثم بعد ذلك أقيمت حفلة في فرنسا وسألها الصحفيون: هل أنت أغنى امرأة؟ قالت: نعم، أنا أغنى امرأة، ولكني أشقى امرأة.

وآخر فصل من فصول المسرحية الحقيقية تزوجت برجل فرنسي ـ أحد رجال الصناعة ـ وبعد فترة يسيرة أنجبت بنتًا، ثم طلّقها بل طلّقته.

ثم عاشت بقية حياتها في تعاسة وهَمٍّ، وبعد شهور وجدوها ميّتة في شاليه في الأرجنتين لا يعلمون هل ماتت طبيعية أم أنها قُتِلت؟ حتى إن الطبيب الأرجنتيني قد أمر بتشريح جثتها، ثم دفنت في جزيرة أبيها.

وصدق الله ـ تعالى ـ إذ يقول: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[1] [التوبة: ٥٥].

(١) «طريق السعادة»: للشيخ أحمد فريد ـ ص: (٥٧ ـ ٥٨، ٥٩).

● **لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف:-**

وعلى الطريق الآخر انظر إلى نعيم المحبين المشتاقين الزاهدين:-

قال إبراهيم بن بشار - رحمه الله -: خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم وأبو يوسف الغسولي وأبو عبدالله السنجاري نريد الإسكندرية، فمررنا بنهر يُقال له: نهر الأردن، فقعدنا نستريح، وكان مع أبي يوسف كُسَيْرات يابسات، فألقاهم بين أيدينا فأكلنا، وحمدنا الله فقمتُ أسعى أتناول ماءً لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء ركبتيْه، فمال بكَفَّيْه في الماء فملأهما، ثم قال: بسم الله وشرب. فقال: الحمد لله، ثم أنه خرج من النهر فمدّ رجليه وقال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب.

فقلت له: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم فأخطأوا الطريق المستقيم، فتبسَّم ثم قال: من أين لك هذا الكلام[1].

● **ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه:-**

* لم يغن النعيم عن شاه إيران.. فقد طُرِد من بلاده وتشرَّد، ولم يجد بلدًا يأويه، ومات شريدًا طريدًا في مصر، بعد أن أنهَكه الهمّ وفتك به المرض.

* ونصَّب بوكاسا الأول نفسه رئيسًا مدى الحياة ثم إمبراطورًا لإفريقيا الوسطى، وكانت مراسم تتويجه إمبراطورًا شبيهة بمراسم تتويج الإمبراطور نابليون.... واستقدم الإمبراطور بوكاسا الرسام الألماني (هانز لينوس) بطائرة خاصة نفّاسة مرتين في شهر واحد لرسم الخطوط الأولى للوحة في قاعة العرش...!!..... وحين طار بوكاسا من بلاده في مهمة رسمية إلى الخارج طار عنه عرشه، واستلم الذين كانوا عماد حكمه الحكم بعده، وبقى عرشه وتاجه

(١) حلية الأولياء: (٧/ ٣٧٠)، وصفة الصفوة: (٤/ ١٥٣).

وصولجانه هناك بعيدًا عنه، وأصبح بوكاسا العظيم حكاية تُروى»[١].

* ونابليون أشهر في الدنيا من الدنيا ماذا قال في «سانت هيلينا»؟ قال: لم أعرف ستة أيام سعيدة في حياتي.

* وهل أغنت القصور عن ثمود قال ـ تعالى ـ: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الشعراء: ١٤٦ ـ ١٤٩]، فماذا كانت العاقبة؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف: ٥٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص: ٨١].

* * *

● نعيم وتلذذ بالنساء:

والعشق الشهوي عبودية على عبودية، وذلّة على ذلّة، والبهيمة أحسن حالًا ممَّن ابتلى به؛ لأنها إذ أسقطت الأذى عن نفسها بالسِّفاد، سكنت فصارت إلى الراحة، وهو لم يرض بذلك حتى استعان بالعقل في خدمة الشهوة واستجلابها، ومن أثار شهوته فهو كمن يثير بهائم عارية وسباع ضارية.

قيل لبعض الحكماء: ما العشق؟ قال: جنون لا يُؤْجَرْ صاحبُهُ عليه.

وسُئل آخر عنه فقال: نفس فارغة لا همَّة لها.

وقال غيره: «هو سوء اختيار صادف نفسًا فارغة»[٢].

* أيّ ذُلّ وشقاء ورقّ أنكى من ذُلّ رجل يقول لمعشوقته:

أَتَانِي مِنْك سبُّكِ لِي فَسُبِّي ... أَلَيْسَ جَرَى بِفِيكِ اسْمِي فَحَسْبِي

---

(١) انظر: «جولة في رياض العلماء».

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة» للراغب الأصفهاني ص: (٣١٦ ـ ٣١٧) دار الوفاء.

● وانظر إلى العشق كيف يجعل من رجل أشقى الآخرين:

فعن عبدالله أن النبي ﷺ قال لعلي: «يَا عَلِيُّ، مَنْ أَشْقَى الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أعلم، قال: «أَشْقَى الأَوَّلِينَ عَاقِرُ النَّاقَةِ، وَأَشْقَى الآخِرِينَ الذي يَطْعَنُكَ يَا عَلِيُّ، وَأَشَارَ إِلَى حِينَ يُطعَنُ»(١).

فما قتل عبدالرحمن بن ملجم عليَّ بن أبي طالب إلا بسبب عشقه لقطام، وهي امرأة من تيم الرباب، كانت ترى رأي الخوارج، فلما أبصر بها عبدالرحمن عشقها فخطبها، فقالت: لا أتزوّجك إلّا على ثلاثة آلاف وقتلِ علي بن أبي طالب. فتزوّجها على ذلك، وقتل عليًّا رضي الله عنه.

* ولقد جرت على العُشّاق مِحَنٌ لا تُطاق، كان مجنون ليلى لا يعرف ليلًا ولا نهارًا، وكان إذا رأى الجبل قال: ليلى، وإذا رأى البحر قال: ليلى، وغلب عليه الوسواس، فهرب إلى الوحش من الناس:

لَو فَكَّرَ العَاشِقُ فِي مُنْتَهَى ... حُسْنِ الذِّي يُسْبِيهِ لَمْ يُسْبِهِ

والمجنون هو القائل:

أَصَلِي فَأَبكِي فِي الصَّلاةِ لِذِكْرِهَا ... لِيَ الوَيْلُ مِمَا يَكْتُبُ المَلَكَانِ

وهو القائل:-

إِذَا صَلَّيْتُ يَمَّمْتُ نَحْوَهَا ... بِوَجْهِي وَإِنْ كَانَ المُصَلَّى وَرَائِيَا

وهو القائل: -

عَجِبْتُ لِعُرْوَةَ العُذْرِيّ أَمْسَى ... أَحَادِيثًا لِقَوْمٍ بَعْدَ قَوْمِ

وَعُرْوَةَ مَاتَ يَوْمًا مُسْتَرِيحًا ... وَهَأَنَذَا أَمُوتُ بِكُلِّ يَوْمِ

* والعباس بن الأحنف القائل: -

---

(١)صحيح: أخرجه ابن سعد في الطبقات، وله شاهد عند الطبراني في المعجم الكبير والحاكم، وأحمد والبزار، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٠٨٨).